تحسب أن الصدارة للقوى يعمل مايشاء فيرتاح الجميع لما يعمل ؛ ثم يأبى عليك جبروتك أن تساوى بين يقل عنك قوة ومكانة ؛ ولكن هوّن عليك فانك لم تُدْعَ إلى ما فيه غبن لكرامتك أو حطم لكبريائك ، وإنما دُعيتَ إلى ما تعد كريماً لو فعلته . دعيت إلى تبادل المحبة مع القوى والضعيف على السواء ؛ فبقدر قوتك يحسب على الضعيف كرمك ، وبقدر كرمك يُعتبر تواضعك ، وبقدر تواضعك يكون سموّك

نحن نعرف أنك قوى ، ونعرف أنك لست وحدك القوى ، فما أكثر ذو قوة ... وإن لم تكن قوته فى بنيته ففى صلابة إيمانه ، أو فى طيبة عنصره ، أو فى طهارة نزوعه ، أو فى عزته وإبائه ؛ وقد ينقصك شيء مما فى غيرك من هذا كما ينقص غيرك شيء مما فيك من القوة . فلنقدر كل هذه الصفات ، ولنعلم أن القوة ما هى إلا واحدة منها

قال قلب الشاعر : ليس ذنب الضعيف أنه ضعيف ، لأنه خلق كذلك فلم يُدخل شيئاً جديداً على خلقته ؛ والقوى يكون مذنباً إذا اختال بقوته ، لأنه يدخل باختياله عيباً كبيرا على خلقته . . . .

* * *

وكنت أظن أن عمل المؤتمر قد انتهى إلى هذا ، ولكن وقف قلب الشاعر مرة أخرى يستكمل رسالته ويقول :

مادمنا اخوة ، ومادمنا نشعر بروح الأخوّة . . . . فعلينا واجب هو آخر واجباتنا غير أنه أهمها ، هو أن نقدم العون والمواساة لمن كان منا منكوباً أو مكروباً ؛ فهذا هذا القلب – وأشار الى قلب البؤس بجانبي فبكى – كم يألم ، وكم يكتم ألمه ، لأنه لا يجد من يشكوه اليه ، وإن وجد فانه لا يجد من يواسيه فيه ، فيبكى وحده كلما انفرد فتذكر ، أو كلما اجتمع فتفكر – بكاء الصابر على غير أمل ، والأحياء فى غير رجاء

فأقبلنا جميعاً على هذا القلب المسكين نواسيه ، حتى انفرجت كربته ؛ ثم أخذنا نتشاكى ونتناجى ونتواسى ؛ ثم أقبلنا على قلب الشاعر نكبره ونصافحه ونحييه ، ثم انفض المؤتمر

ولما خرجت من التفكير والحلم ، ثم عدت كما أنا شخصاً فى صدره قلب ، قلت : آه ! ! كم يعيش العالم سعيدا لو اتحدت قلوبنا فاتحدنا ؛ وكان أساس اتحادنا الأخلاص !

(طنطا) السيد محمد زيادة

بين المتنبي وسيف الدولة

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

غادر المتنبي أرض مصر وشعوره لأميره السابق سيف الدولة نستطيع أن نجمله فى بيتين قالهما المتنبي وهما :

فارقتكم فاذا ما كان قبلكم ... قبل الفراق أذى ، بعد الفراق يد
إذا تذكرت ما بيني وبينكم ... أعان قلبي على الشوق الذي أجد

فهو قد خرج من مصر ونفسه توّاقة إلى سيف الدولة ، مشتاقة إلى الاستظلال بكنفه ، لأن آماله التي غرسها عند غيره لم يجن منها غير الخيبة والندامة ؛ ولم يكن اشتياق سيف الدولة إلى لقاء المتنبي بأقل من ذلك ، فقد أحس بعد فرقته بفراغ لم يملأه شاعر ممن حوله ، ورأى بلبله الغريد قد طار عن أيكته ، وحط عند غيره ، ولم يكن أحب إليه من عودته ، كما دلت على ذلك آمال سيف الدولة بعد أن فارق المتنبي أرض مصر ، وهو إحساس كان من السهل على المتنبي أن يستثمره وأن يقصد توّاً أرض سيف الدولة ، ولكنه لم يفعل لأمور نستطيع تلخيصها فيما يأتى :

أولاً ما فطر عليه المتنبي من سمو النفس والعظمة التى كانت تملأ جنبيه ، فقد عز عليه أن يلجأ إلى من فارقه مغضباً منه ، وأن يذهب إلى من فرّط فيه ولم يبق عليه ، بل سمع فيه قول الوشاة

وثانياً هذا الشعر الكثير الذى قاله مضطراً تحت عوامل نفسية ، وعوامل خارجية وثورة واضطرام عواطف ، وسب فيه سيف الدولة ، فلم يجد من اللياقة أن يقصد من هجاه ، ورأى فى ذلك غضاضة لا يسيغها ولا يقبلها

لم يذهب المتنبي إذاً إلى سيف الدولة ولكنه قصد الكوفة ، وهناك كثيراً ما ذكر أيامه السالفة لدى الأمير وعهده الناضر ؛ أما سيف الدولة فقد نسى كل ما ذكره المتنبي عنه حينما كان بمصر وأرسل إليه ابنه بهدية ، فلم يجد المتنبي مايشكره به سوى شعره ، فكتب إليه قصيدة بدا فيها ما يكنه من جميل الذكرى وفيها يقول :

كلما رحبت بنا الروض قلنا ... حلب قصدنا ، وأنت السبيل
والمسمّون بالأمير كثير ... والأمير الذى بها المأمول
الذى زلت عنه شرقاً وغرباً ... ونداه مقابلي ما يزول
نغص البعد عنك قرب العطايا ... مرتعي مخصب وجسمي هزيل

إن تبوأتُ غير دنياى دارا   وأتانى نَيْل فأنت المنيل

من عبيدى إن عشت لى ألف كافو   ر ولى من نداك ريف ونيل

ولا ينسى فى تلك القصيدة أن يسمعه تلك النغمة القديمة التى كان يطرب بها مسامعه أيام كان فى كنفه ، فهو يحدثه عن حروبه مع الروم وطول عراكه معهم ، لأن تلك النغمة أعذب نغمة لدى سيف الدولة ، فهو يقول له :

وموال تحييهم من يديه   نعم غيرهم بها مقتول

فرس سابق ، ورمح طويل   ودلاص زُغف وسيف صقيل

أنت طول الحياة للروم غاز   فتى الوعد أن يكون القفول

تلك القصيدة تشعرك حقاً بأن المتنبي يحفظ أجل الذكريات لأميره ولا يتناساها . ثم لما ماتت أخت سيف الدولة وورد نعيها العراق وسمع به المتنبي أبت عليه نفسه إلا أن يكون له نصيب من الحزن عليها فرثاها بقصيدة تدلك حقاً على وجدان متألم ، وأنه يحزن لحزن أميره القديم ويرثى لمصابه ، وفيها يقول :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر   فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت   فكيف ليل فتى الفتيان فى حلب

يظن أن فؤادى غير ملتهب   وأن دمع جفونى غير منسكب

بلى وحرمة من كانت مراعية   لحرمة المجد والقصاد والأدب

فأنت ذا تراه ينفى عن نفسه أنه لم يشارك أميره فى الحزن ويقسم له بحرمة الفقيدة ثم يقول :

يا أحسن الصبر زر أولى القلوب به   وقل لصاحبه يا أنفع السحب

وأكرم الناس لا مستثنياً أحداً   من الكرام سوى آبائك النجب

ولعل رغبة سيف الدولة قد اشتدت فى أن يكون المتنبي إلى جانبه فأرسل إليه كتاباً بخطه إلى الكوفة يطلب منه أن يسير إليه ، فأجابه بقصيدة فيها عتاب جميل واعتذار عن التخلف ، ومدح لسيف الدولة ؛ ولعل المتنبي بذلك المدح يريد أن يعوض على سيف الدولة فقده ؛ واستمع إليه يعتذر ويقول :

وما عاقنى غير خوف الوشا   ة وإن الوشايات طرق الكذب

وتكثير قوم وتقليلهم   وتقريبهم بيننا والخبب

وقد كان ينصرهم سمعه   وينصرنى قلبه والحسب

وما قلت للبدر أنت اللجين   وما قلت للشمس أنت الذهب

فيقلق منه البعيد الأناة   ويغضب منه البطىء الغضب

ويمدحه ويقول :

وما لاقنى بلد بعدكم   ولا اعتضت من رب نعماى رب

وما قست كل ملوك البلاد   فدع ذكر بعض ، بمن فى حلب

أفى الرأى يشبه أم فى السخا   ء أم فى الشجاعة أم فى الأدب

ثم يمضى مادحا معيداً على أذنه تلك النغمة القديمة — كما قلنا — نغمة مدحه بقتال الروم

تلك علاقة المتنبي بسيف الدولة وهى علاقة لا تتعدى المراسلة ، وقد يقال : أما كان من الخير للمتنبى أن يذهب إلى سيف الدولة بعد أن دعاه ؟ ولكن إذا علمنا ما كان يخشاه المتنبى من الوشاة وأن المأساة ربما تتكرر خففنا من لومه والاعتراض عليه

لم يلق المتنبى إذاً سيف الدولة بعد أن فارقه حتى قتل ؛ أما شعور الأمير ساعة علم بمقتل شاعره القديم فإن كتب الأدب إذا كانت لم تحدثنا عنه فمن السهل علينا فهمه ، إذ ليس من اليسير على سيف الدولة تقبل مثل هذا الخبر من غير أن يحزن له وأن يتألم من أجله فى صميم فؤاده

أحمد أحمد بدوى

وحى القلم

مقالات الأستاذ الرافعى

يصدر فى جزءين قرابة ٨٠٠ صفحة

يحتوى ١٢٠ مقالة فى أهم المواضيع ؛
نشر بعضها فى (الرسالة) والبعض الآخر لم ينشر

الاشتراك فى الجزءين معاً : عشرون قرشاً
غير أجرة البريد ؛ والثمن بعد الطبع أربعون قرشاً

النسخ محدودة

نلفت أنظار القراء إلى أن باب الاشتراك سيقفل قريباً